العتبة العباسية المقدسة

أسبوعية ثقافية

الخميس

السنة السادسة

العدد ٣١٤

الخميس ٣ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ٧ نيسان ٢٠١١م

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣

كلمة حق

لا أحد ينازع في كون حادث المؤاخاة هي إحدى المميزات والمفاخر التي تتوج بها الامام علي (عليه السلام) خلال حياة النبي والتي تبين مكانته في هذا الدين باعتباره صنو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفسه. ولهذا دلالات عظيمة تحتم على كل الخاضعين لحضرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخضع لهذه الشخصية. ولم تكن هذه الحادثة مفردة في التاريخ الإسلامي بل نفسها أعيدت مرة اخرى، وما سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه (عليه السلام) إلاّ تأكيداً لهذه الأخوة وهذه الرتبة، وذلك ابتداءاً من حادثة الدار والذي أعطاه (صلى الله عليه وآله وسلم) الأفضلية بين بني هاشم، إلى حادثة الغدير والذي أعطا (صلى الله عليه وآله وسلم) الأفضلية على عامة المسلمين.

المستبصر نور الدين الهاشمي

لا تميتوا القلوب!!!

الصحة نعمة من أعظم نعم الله على العبد ولا يُعْرَف قَدْرُها إلا بعد فقدها، ولذا ورد في الخبر نعمتان مجهولتان : الصحة والأمان ، وانفع الأدوية للصحة لمن أراد السلامة في أيام حياته قلة الأكل ، وقال بعض الحكماء: (الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل إلا بعد الجوع،وإذا أكلت فأرفع يدك قبل الشبع فإنك لا تشكو إلا علَّة الموت)،فقلَّة الأكل هي إحدى الوسائل للعلاج من أمراض عديدة، وقد نهى القرآن عن كثرة الأكل والشرب ، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾الأعراف/ ٣١.

وورد في كتاب بحار الأنوار قوله (صلى الله عليه وآله) :﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه ﴾، وقال أيضاً: المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق في سبعه أمعاء.

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء.

ومن وصايا أمير المؤمنين(عليه السلام) لكميل أنَّه قال: يا كميل: لا توقر معدتك طعاما ودع فيها للماء موضعا وللريح مجالا،ولا ترفع يدك من الطعام إلا وأنت تشتهيه، فإن فعلت ذلك فأنت تستمرئه، فإنّ صحة الجسم من قلة الطعام وقلة الماء.ومن أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) التي ذم فيها كثرة الأكل أنه قال:

١-مَنْ كَثُرَ أكله قَلَّتْ صحته وثقلت على نفسه مؤنته.

٢-كثرة الأكل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة.

٣-مَنْ اقتصر في أكله كَثُرت صحته وصلحت فكرته .

٤-إياك وإدمان الشبع، فإنه يهيج الأسقام ويثير العلل

٥-لا يجتمع الجوع والمرض .

٦-لا يجتمع الصحة والنهم .

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة.

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام): ما من شيء أبغض إلى الله من بطن مملوء ، وعنه(عليه السلام) أيضاً: أبعد الخلق من الله، إذا ما امتلأ بطنه. وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام): مَنْ أخذ مِنْ الطعام زيادة لم يُغَذِّه، ومَنْ أخذه بقدر لا زيادة عليه ولا نقص في غذائه نفعه، وكذلك الماء، فسبيله أن تأخذ من الطعام كفايتك في أيامه، وارفع يديك منه وبك إليه بعض القرم، وعندك إليه ميل، فإنه أصلح لمعدتك ولبدنك، وأزكى لعقلك، وأخف لجسمك.

وروي عن الإمام الهادي (عليه السلام): السهر ألذُّ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام.

شرح خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد (لعنه الله)

(حرائرك وإماءك)

يقال : الحرائر - جمع حرة - : نقيض الأمة.

(وسوقك بنات رسول الله سباي)

السوق : يقال : ساق الماشية يسوقها سوقاً : حثها على السير من خلف وذلك يعني : الحث على السير من الوراء مع عدم الإحترام .

ولهذا خاطبته السيدة زينب بقولها : أمن العدل أن تجعل جواريك والنساء الحرائر - الساكنات في قصرك - وراء الخدر ، وتسوق بنات الرسالة وعقائل النبوة ، ومخدرات الوحي . . سبايا ؟ علما أنه لا يرجى من يزيد العدل والعدالة ، ولكنه لما ادعى الخلافة لنفسه ، كان المفروض والمتوقع منه أن يكون عادلاً.

(قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن)

فبعد أن كن مخدرات مستورات ، لا يرى أحد لهن ظلاً ، وإذا بهن يرين أنفسهن أمام أنظار الرجال الأجانب ، وبعد أن كن محجبات . . وإذا بالأعداء قد سلبوهن ما كن يسترن به وجوههن . . من البراقع والمقانع !

(تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد)

أي : يسوقهن الأعداء من كربلاء إلى الكوفة ، ومنها إلى الشام ، ويمرون بهن على البلاد التي في طريق الشام .

وحينما كان يمر موكبهن على البلاد والقرى والأرياف ، كان الناس - على اختلاف طبقاتهم - يخرجون للتفرج عليهن ، وأحياناً كانوا يصعدون على سطوح دورهم للتفرج عليهن ، ولهذا قالت السيدة :

(ويستشرفهن أهل المناقل ، ويتبرزن لأهل المناهل)

المناقل - جمع منقل - وهو الطريق إلى الجبل . والمناهل - جمع منهل - : وهو الماء الذي ينزل عنده والمقصود : المنازل التي في طريق المسافرين ، للتزود بالماء أو الإستراحة .

(ويتصفح وجوههن القريب والبعيد)

يتصفح : أي يتأمل وجوههن لينظر إلى ملامحهن ! !

(والشريف والوضيع ، والدنيء والرفيع)

والحال أنه (ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن حمي) ، عائلة محترمة ، وليس معهن من رجالهن أحد يشرف على شؤونهن ويحرسهن ويحميهن من الأخطار والأشرار ، لأن رجالهن قد قتلوا بأجمعهم ، ولم يبق منهم سوى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) .

كل هذه الجرائم التي صدرت منك ، وبأمرك كانت (عتواً منك على الله)

العتو : هو التكبر .

(وجحوداً لرسول الله)

الجحود : هو الإنكار مع العلم بأن هذا هو الواقع والحق ، قال تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) (ودفعاً لما جاء به من عند الله)

الدفع : الإزالة والإبادة والرد .

أي : قمت بهذه الأعمال لأجل القضاء على الإسلام ، وعلى ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند الله تعالى .

(ولا غرو منك ، ولا عجب من فعلك)

لا غرو : لا عجب .

إن السيدة زينب (عليها السلام) تعتبر تلك الجرائم - التي صدرت من يزيد - أموراً طبيعية وظواهر غير عجيبة ، فـ(كل إناء بالذي فيه ينضح) .

وإن الآثار السلبية لعامل - بل عوامل - الوراثة ، والإستمرار على شرب الخمر والفحشاء والفجور والعيش في أحضان العاهرات ، كلها أسباب كان لها دورها في إيجاد هذه النتائج والعواقب السيئة للطاغية يزيد.

(وأنى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء ، ونبت لحمه بدماء السعداء؟)

أي : كيف ومتى يتوقع الخوف من الله تعالى . . من ابن من رمت من فمها أكباد الشهداء الأبرياء ؟

هذه الكلمة إشارة إلى ما حدث في واقعة أحد ، وإلى مقتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما جاءت هند - أم معاوية - وجدة يزيد - وشقت بطن سيدنا حمزة ، واخرجت كبده واخذت قطعة من كبده ، ووضعتها في فمها وعضتها بأسنانها وحاولت أن تأكلها ، بسبب الحقد المتأجج في صدرها ، ولكن الله تعالى أبى أن تدخل قطعة من كبد سيدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة ، فانقلبت تلك القطعة صلبة كالحجر ، فلم تؤثر أسنانها في الكبد ، فلفظتها ، ورمتها من فمها ، فاكتسبت بذلك لقب (آكلة الأكباد) ! !

ويزيد : هو حفيد هكذا امرأة حقودة . وحقده على الدين وارتكابه للجرائم الكبيرة ليس بشيء جديد ! !

كيف نحيي صلاة خاشعة

- إن سُلّم الأولويات عندنا غير صحيح، حيث أننا لم نرتب حياتنا ترتيباً إلهياً.. ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾؛ فأول صفة وصف عرفاني، إذ لم يذكر الجهاد ولا الزكاة، ولم يقل: يخشعون في يوم أو يومين، في ركعة أو ركعتين، وإنما دائماً خاشع، ومن ثم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.. فكل ذلك من أثر الصلاة الخاشعة.

- هناك قصة معروفة تدل على أثر الاستئناس بالصلاة: شاب عشق فتاة ذات حسب ونسب، وهو مجرد عامل عندها، فطلب منها الزواج.. وافقت على أن يكون مهرها مواظبته على صلاة الليل أربعين يوما، قبل بذلك.. وبعد الأربعين قال لها: لقد زهدت بك، فقد تعرضت في جوف الليل إلى جمالٍ أرقى!..

فالذين يستذوقون هذا الجمال الإلهي، هؤلاء لا يقر لهم قرار، فليلهم غير ليل الآخرين، ونهارهم نهار متميز.. بالليل صافون أقدامهم، وبالنهار حكماء علماء كالجبل الراسخ، لا تزعزعه العواصف، عَظُم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم.. فأصحاب الحسين -عليه السلام- يوم عاشوراء تجلى في صدورهم الحب الإلهي، فزهدوا حتى في الجنة.. إن هؤلاء وصلوا إلى هذه الدرجات، بعملهم المسبق.

إن الصلاة الخاشعة مشروع من أكبر المشاريع في الحياة البشرية، فالصلاة هي عبارة عن بناء برج من أقوى الأبراج على وجه الأرض.. هي أربع ركعات، ولكن هذه الركعات الأربع تحتاج إلى برنامج، وإلى مخطط، فالذي ينجح في بناء طابق واحد، بإمكانه أن يبني الطوابق المشابهة؛ أي من أتقن ركعة واحدة، بإمكانه أن يتقن جميع صلواته بتوفيق من الله عز وجل.

- القبلة: عندما يريد المؤمن أن يصلي، يستقبل المسجد الحرام بوجهه الظاهري، فرب العالمين أكرم نبيه المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- بأن جعل قبلته المسجد الحرام ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾.

- ما الحكمة في أن الإنسان عندما يريد أن يصلي، يصلي إلى جهة واحدة، ولا يوزع نفسه بين جهات عديدة.. فمنذ أن يُكلّف إلى أن يموت، وهو في صلواته يتوجه إلى جهة واحدة؟..

- إن الإنسان المؤمن لابد أن يكون له منهج في حياته.. فبعض الناس -مع الأسف- يعيش حالة تذبذبية؛ يقبل تارة، ويدبر أخرى.. ومن أسوأ أنواع النفاق، النفاق في الخلوات والجلوات، فهو في الخلوات على هيئة، وفي الجلوات على هيئة أخرى.. فالذي لا يعيش هذه المراقبة الإلهية المتصلة، ويرى بأن هذا الجدار حائل بينه وبين الناس، هذا الإنسان متورط بدرجة من درجات النفاق، يقول تعالى في سورة (يس): ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي يا رسول الله أنت تنذر من اتبع الذكر، وله خشية في الغيب، فالذي لا يخشى الله -عز وجل- في الغيب، هذا الإنسان لا تؤثر فيه مواعظ الأنبياء.. إن الذي يرى العين الإلهية التي تنظر إليه في كل حركاته وسكناته، هذا الإنسان ليست له حالات ذبذبة؛ فيرتفع تارة ويتسافل أخرى، مثله كمثل الطائرة التي ذهبت إلى الأجواء العليا، فتحلق في مدار ثابت، لا يتراجع عما كان فيه.. ومن المعلوم أن المشكلة في حركة السالكين إلى الله -عز وجل- هذه الحالة من التراجع والتقدم.

- إن البعض يستذوق الطريق إلى الله -عز وجل- استذواقاً لا جدية له، فهو يريد أن يتشبه بالطائعين: فيصلي صلاة الليل فترة، ثم يترك الأمر.. ويقرأ القرآن فترة، ثم يتركه.. ويجمع في مكتبته مكتبة عرفانية، ولكن لا يصل إلى منطقة آمنة، ثم يرجع ويقول: نحن لا نلتذ بلذائذ أهل الدنيا، حتى المحللة؛ لأنه استذوقنا شيئاً من لذائذ عالم الآخرة، ومن ناحية لم نصل إلى شيء يعتد به.. فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!.. هذه مرحلة خطيرة جداً، أصحابها يبتلون بالإحباط والانتكاس، والذي يتراجع عن هذا الطريق، تكون الشياطين له بالمرصاد، لتنتقم منه أيما انتقام!..

فإذن، إن الدرس العملي من الاتجاه إلى القبلة: أن تكون لنا وجهة واحدة في الحياة، فعزمة من عزمات الملوك، ونعاهد ربنا بأن نقول: يا رب أمرك الأمر، ونهيك النهي.. فالذي يُبقي في حياته حراماً واحداً، فقد جعل لبيته بوابة، لا باب لها.. تدخل منها الشياطين في كل آن.

دلائل استمرار الإمامة

الحلقة الثالثة

الطريق الثاني : الروايات:

هناك طوائف متعددّة من الروايات تشير إلى أنّ ظاهرة الإمامة مستمرّة غير منقطعة ، نقف عند بعضها :

الطائفة الأولى: روايات حديث الثقلين:

حسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين ، أن يكون من رواته ، كل من صحيح مسلم ، وسنن الدارمي ، وخصائص النسائي ، وسنن أبي داود ، وابن ماجة ، ومسند أحمد ، ومستدرك الحاكم ، وذخائر الطبري ، وحلية الأولياء ، وكنز العمّال ، وغيرهم ، وأن تعنى بروايته كتب المفسرين أمثال الرازي ، والثعلبي ، والنيسابوري ، والخازن ، وابن كثير ، وغيرهم ، بالإضافة إلى الكثير من كتب التاريخ ، واللغة ، والسير ، والتراجم ، وما أظن أنّ حديثاً يملك من الشهرة ما يملكه هذا الحديث ، وقد أوصله ابن حجر في الصواعق المحرقة إلى نيّف وعشرين صحابيّاً . يقول في كتابه : (ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابيّاً) (الصواعق المحرقة : ١٤٨) وفي غاية المرام وصلت أحاديثه من طرق السنّة إلى (٣٩حديثاً) ومن طرق الشيعة إلى (٨٢حديثاً) « (الأصول العامّة للفقه المقارن : ص١٦٤ ، دار الأندلس) .

بل في نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للإمام السيد حامد حسيني الكهنوي ، ذكر أنّ هذا الحديث :»رواه عن النبي (ص) أكثر من ثلاثين صحابيّاً ، وما لا يقل عن ثلاثمائة عالم من كبار علماء أهل السنّة ، في مختلف العلوم والفنون ، في جميع الأعصار والقرون ، بألفاظ مختلفة وأسانيد متعدّدة ، وفيهم أرباب الصحاح والمسانيد وأئمّة الحديث والتفسير والتاريخ ، فهو حديث صحيح متواتر بين المسلمين « (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار ، لحجّة التاريخ والبحث والتحقيق الإمام السيّد حامد حسين الكهنوي ، بقلم علي الحسيني الميلاني : ج ١ ، ص ١٨٥ – ١٨٦ ، الطبعة الاولى .

ولسان الحديث ، كما في رواية زيد بن أرقم :»إنّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلّفونني فيهما « (سنن الترمذي :ج٥، ص٦٦٤، ح٣٧٨٦) . ومقتضى عدم افتراق العترة عن القرآن الكريم . هو بقاء العترة إلى جنب القرآن إلى يوم القيامة . وعدم خلوّ زمان من الأزمنة منهم ، لأنّها لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض .

يقول ابن حجر :»وفي أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم ، للتمسك به إلى يوم القيامة ، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض « (الصواعق المحرقة : ص ١٤٩) .

حديث وسنتي في الميزان

الحلقة الثانية

وقد اعترف الحاكم بضعف الحديث، فلذلك لم يصححه في المستدرك، وإنما جلب له شاهد لكّنه واهٍ ساقط الإسناد، فازداد الحديث ضعفاً إلى ضعفه، وتحقّقنا أن ابن أبي أويس أو أباه قد سرق واحد منهما حديث ذلك الواهي الذي سنذكره ورواه من عند نفسه، وقد نص ابن معين وهو من هو على أنهما يسرقان الحديث. فروى الحاكم (١/ ٩٣) ذلك حيث قال : ((وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة)) ثم روى بسنده من طريق الضبي ثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : ((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنّتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)). قلت : هذا موضوع أيضاً، واقتصر الكلام هنا على رجل واحد في السن وهو صالح بن موسى الطلحي، وإليك كلام أئمة أهل الحديث من كبار الحفاظ الذين طعنوا فيه من تهذيب الكمال (١٣/ ٩٦) :

((قال يحيى بن معين : ليس بشيء، وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً، كثير المناكير عن الثقات. وقال النسائي : لا يكتب حديثه، وقال في موضع آخر : متروك الحديث)) وفي تهذيب التهذيب (٤/ ٣٥٥) للحافظ ابن حجر : ((قال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة لا يجوز الاحتجاج به، وقال أبو نعيم : متروك الحديث يروي المناكير)).

قلت : وقد حكم الحافظ عليه في التقريب بأنه ((متروك)) (ترجمته ٢٨٩١) والذهبي في ((الكاشف)) (٢١٤٢) بأنه ((واه)). وأورد الذهبي في ((الميزان)) (٢/ ٣٠٢) حديثه هذا في ترجمته على أنه من منكراته. وقد ذكر مالك هذا الحديث في ((الموطأ)) (٨٩٩ برقم ٣) بلاغاً بلا سند ولا قيمة لذلك بعد أن بينا وهاء إسناده.

وقد ذكر الحافظ بن عبد البر في ((التمهيد)) (٢٤/ ٣٣١) سنداً ثالثاً لهذا الحديث الواهي الموضوع فقال : ((وحدثنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن إبراهيم الديبلي، قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا الحنيني عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده)) به. قلت : نقتصر على علة واحدة فيه وهي أن كثير بن عبد الله هذا الذي في إسناده قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أحد أركان الكذب ، وقال عنه أبو داود : كان أحد الكذابين وقال ابن حبان : روى عن أبيه عن جدّه نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلاّ على جهة التعجب قال النسائي والدار قطني متروك الحديث. وقال الإمام أحمد : منكر الحديث ليس بشيء، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء. قلت : وقد أخطأ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في التقريب عندما اقتصر على قوله فيه : ضعيف، ثم قال : ((وقد افرط من رماه بالكذب)) قلت : كلا لم يفرط بل هو واقع حاله كما ترى من كلام الأئمة فيه لا سيما وقد قال عنه الذهبي في الكاشف : ((واه)) وهو كذلك، وحديثه موضوع، فلا يصلح للمتابعة، ولا الشواهد بل يضرب عليه والله الموفق.

..

فتبين بوضوح أن حديث ((كتاب الله وعترتي)) هو الصحيح الثابت في صحيح مسلم وأن لفظ ((كتاب الله وسنتي)) باطل من جهة السند غير صحيح. فعلى خطباء المساجد والوعّاظ والأئمة أن يتركوا اللفظ الذي لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يذكروا للناس اللفظ الصحيح الثابت عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم ((كتاب الله وأهل بيتي)) أو ((عترتي)) . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف أنبيائه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أب يجهل اسم طفلته !!!

احمد السيلاوي

تجف بعض القلوب وتنشف .. ثم تصبح أصلب من الحديد .. فتعاند وتحاجج بغير منطق أو تفكير .. وقد يصل الحال ببعضها أن تطلب المستحيل .. وأن تحاول وتقف معترضة لقدر من الأقدار !! ثم تصر وتلح على نيل ما لم يكن مكتوب .. وهذه قصة تمثل ذلك النوع من القلوب .. فقد عاش الشاب حياته الزوجية بسعادة وهناء .. وضحكت له الدنيا لحظة من تلك اللحظات النادرة .. فيتمنى كما يشاء ويرسم ويخطط ويطلب القاصي والداني .. ثم وضع مخططاً لحياة ليست كلها في يد الإنسان !! .. وجمح به الخيال فقدم وأخر .. ثم رسم مستقبلاً كما يتمنى ودون أن يترك للأقدار فرصة .. وهو من أولوياته ومخططاته أن يكون للذكور من ذريته القادمة حظ البواكير وللإناث فرصة قد تتاح فيما بعد .. تلك هي كانت مخططاته .. وكأنه يملك ذلك الأمر !! .. ولكن للأقدار قول غير ذلك .. وقولها لا يتبدل ومرسوم في الأزل .. وعند تباشير أول القادمين من إنجابه للحظات فرح ورقص ثم سأل النوع وعندما قيل له أن باكورة الإنجاب بنت وليست ولد .. تغير وجهه وتلون وتبدلت ملامح الرسم في جبينه وكأنه قد أصيب بداء عضال .. وفقد للحظة شهية الحياة .. فغضب وسخط ودخل وخرج ولام غيره بغير لوم ولا ذنب .. ثم مرت به الأيام ثم التقاء بولادة أخرى وكذلك جاء الأمر عكس مخططاته .. وهكذا توالت الولادات بنت إثر أخرى .. ولما بلغ به الحال بعدد من الأمورات .. قرر وبعناد شديد فيه الكثير من الجفاء والخطأ أن يغترب في بلاد بعيدة خارج بلده .. وكانت أم البنات تحت حمل جديد فأقسم لها بأنه لن يعود إليهم مرة أخرى إذا لم يكن المولود ذكراً !! .. واغترب وسافر .. ثم مكث ينتظر الحدث كما يتمنى .. ولكن يصر القدر مرة أخرى أن يقول قولته .. فتبشره الأنباء والإفادات بأن الحال (أيضاً كذلك) .. والجديد مثل القديم .. والحال مثل الأول .. فأرسل لهم قائلاً سموها كما تريدون .. وأبعدوني من رباكم .. وسوف يطول اغترابي .. وقد لا أعود !! .. فتمر السنوات عجافاً .. أما هو حتى لم يشغل نفسه عن السؤال عن اسم المولودة .. ويعيش تحت وعد عقيم وبلد لا يدوم الحال فيه .. وبعد مرور تسعة سنوات تجبره الظروف أن يعود لأهل قد جفاهم بغير ذنب .. ولديار كانت دوماً تحضن أبناءها بحنان وعطف .. فأعد العدة للعودة قسراً وليس طوعاً .. وهو يحس في أعماق نفسه بأنه عائد تحت جبروت الظروف .. ومن المطار توجه لداره ولأهله .. ودون أن يخطر أحداً بقدومه .. يقول : نزلت من سيارة الأجرة التي وقفت أمام المنزل .. ثم تقدمت بخطوات بطيئة .. وطرقت باب داري باستحياء .. ثم وقفت برهة انتظر فتح بابي .. وفتح الباب ثم وقفت أمامي زهرة حلوة جميلة في غاية الجمال والروعة .. فنظرت إليها بتعجب وتأمل .. ثم هي نظرت إلى بتعجب وبنظرة ملائكية فيها كل الحلاوة .. ونقاء السريرة .. وبراءة التأمل .. ثم هممت أن أقول لها شيئاً ولكنها لم تمهلني بل قالت بمنتهى الطهارة والبراءة أنت بابا .. أعزب كلمة وأجمل لحن يسمعها أذني في حياتي .. ثم فجأة رمت بجسدها الغض في أحضاني فأضممتها بشدة وحنان .. ودمعة تجري ساخنة في خدي .. وأقول في نفسي : يا الله ما ذنب هذه البريئة ؟؟ !! ثم أقول لها ما اسمك فتقول ببراءة طفولية نقية : معقول يا بابا لا تعرف اسمي ؟؟ ثم تنادي بصوتها وتعلن النبأ .. فيركض باقي جمانات العقد لتحضنه في شوق وحنان .. ويجد نفسه في بيت يجمع الحنان والشوق والعطف والرقة .. ثم يخفي ألمه كل مرة ويأسف من ظلم لأناس يحبونه رغم جفاءه وعناده وتدخله في شئون الأقدار .. وعندما يجد نفسه في خلوة يجد العتاب من قلبه وضميره فيبكي في الخفاء .. وتلك أحوال كل من يحاول الإمساك بالأقدار ليسيرها حسب هواه !!!!

من الملاحظ أنه عندما يذكر ذلك الوجود الشريف، أن أول ما يوصف دموعه الغزيرة، وعبادته، وتوسله برب العالمين.. ولهذا يجب أن لا تجعلوا حساب الرب مفصولا عن حساب الأئمة (ع) والمعصومين.. وإذا أردت أن تتودد إليهم، فلا بد من التقوى والورع، فإن هؤلاء لا يغريهم شيء سوى الالتجاء إلى رب العالمين.

(فوقفتُ في مكاني مستمعاً متلذّذاً، إلى أن فرغ من مناجاته.. فالتفتَ إليّ وصاح هلمّ يا مهدي!.. فتقدّمتُ إليه بخطوات فوقفتُ، فأمرني بالتقدّم فمشيتُ قليلاً ثم وقفتُ، فأمرنيَ بالتقدّم، وقال: إنّ الأدب في الامتثال، فتقدّمتُ إليه بحيث تصل يدي إليه، ويده الشريفة إليّ وتكلّم بكلمة.

قال المولى السلماسي رحمه الله: ولما بلغ كلام السيد السند إلى هنا أضرب عنه صفحاً، وطوى عنه كشحاً، وشرح في الجواب عما سأله المحقق المذكور قبل ذلك عن سرّ قلّة تصانيفه، مع طول باعه في العلوم، فذكر له وجوهاً، فعاد المحقق القمي، فسأل عن هذا الكلام الخفي، فأشار بيده شبه المنكر: بأن هذا سرّ لا يُذكر).

إن كلمة صغيرة -ولعلها من الكلمات التي سمعناها بين النبي (ص) وعلي (ع)- ينفتح منها ألف ألف باب من العلم.. نعم، هؤلاء بنظرة ولائية وبمسحة ربانية، يقلبون كيان الرجل.. فهذا الرجل العظيم يقال له: ما رأيك بالنسبة إلى إمكان رؤية الطلعة الغراء في الغيبة الكبرى؟.. فإذا به يقول: ما أقول في جوابه، وقد ضمني إلى صدره؟.. فإذن، إن دعوى الرؤيا من دون أن تقترن بالسفارة والنيابة الخاصة، من الأمور المتعارفة في حياة العلماء والصلحاء.

وهذه قصة أخرى من عناياته (ع) بهذا السيد الجليل: عن ناظر أموره في أيام مجاورته بمكة قال: (كان رحمه الله مع كونه في بلد الغربة منقطعاً عن الأهل والأخوة، قوي القلب في البذل والعطاء، غير مكترث بكثرة المصارف.. فاتفق في بعض الأيام أن لم نجد إلى درهم سبيلاً، فعرّفته الحال، وكثرة المؤنة، وانعدام المال، فلم يقل شيئاً.. وكان دأبه أن يطوف بالبيت بعد الصبح، ويأتي إلى الدار، فيجلس في القبة المختصّة به.. ونأتي إليه بغليان فيشربه، ثم يخرج إلى قبة أخرى تجتمع فيها تلامذته من كلّ المذاهب، فيدرّس لكلٍ على مذهبه.

فلما رجع من الطواف في اليوم الذي شكوته في أمسه نفود النفقة، وأحضرت الغليان على العادة، فإذا بالباب يدقه أحدٌ.. فاضطرب أشدّ الاضطراب، وقال لي: خذ الغليان وأخرجه من هذا المكان!.. وقام مسرعاً خارجاً عن الوقار والسكينة والآداب، ففتح الباب ودخل شخصٌ جليلٌ في هيئة الأعراب، وجلس في تلك القبة، وقعد السيد عند بابها، في نهاية الذلة والمسكنة، وأشار إليّ أن لا أُقرّب إليه الغليان.

فقعدا ساعة يتحدثان، ثم قام، فقام السيد مسرعاً وفتح الباب، وقبّل يده، وأركبه على جمله الذي أناخه عنده، ومضى لشأنه.. ورجع السيد متغيّر اللون، وناولني براة، وقال: هذه حوالةٌ على رجل صرّاف قاعد في جبل الصفا، واذهب إليه، وخذ منه ما أحيل عليه.. قال: فأخذتها، وأتيت بها إلى الرجل الموصوف، فلما نظر إليها قبّلها، وقال: عليّ بالحماميل!.. فذهبت وأتيت بأربعة حماميل، فجاء بالدراهم من الصنف الذي يقال له: ريال فرانسه، يزيد كلّ واحد على خمسة قرانات العجم، وما كانوا يقدرون على حمله، فحمّلوها على أكتافهم، وأتينا بها إلى الدار.

ولما كان في بعض الأيام، ذهبتُ إلى الصرّاف، لأسأل منه حاله، وممن كانت تلك الحوالة؟.. فلم أرَ صرّافاً ولا دكاناً.. فسألت عن بعض من حضر في ذلك المكان عن الصرّاف، فقال: ما عهدنا في هذا المكان صرّافاً أبداً، وإنما يقعد فيه فلان، فعرفت أنه من أسرار الملك المنّان، وألطاف ولي الرحمان).

إن القرآن الكريم عودنا من خلال آيات كثيرة، على أن هناك قانونا فوق هذا القانون الأرضي.. فعفريت من الجن في ملك سليمان، بإمكانه أن يحضر عرش بلقيس من ذلك المكان، قبل أن يقوم من مقامه.. ويأتي ذلك الرجل الذي كان في حاشيته، وإذا به -على كل سواء كان من الإنس أو من غير الإنس- يحضر العرش قبل أن يرتد إليه طرفه.. فهكذا عودنا القرآن الكريم على هذا الجو، لا الجن ولا الإنس، وإنما النملة ترى هذا الجيش، فتقول: ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده!.. من أين علمت هذه النملة جند سليمان؟.. والهدهد يذهب إلى بلاد اليمن، وإذا به يأتي بتقرير مفصل عما يجري في بلاد اليمن.. نعم، الذي يستغرب عالم ما وراء الطبيعة، يبدو أنه لم يأنس بثقافة القرآن الكريم.. وإلا فإن رب العزة والجلال، وضع القانون، ويرفعه متى ما شاء، كما فعل لنبيه وكليمه الخليل من قبل.

الخميس
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٢٣٦٠٠ داخلي ١٦٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم واخراج: احمد السيلاوي